الفِكر الإسلاميُّ ودوره في
مواجهة ظاهرة التعصب القَبَلي

Thought Islamic And his role in

Confrontation phenomenon Intolerance Tribal

الباحث

د. أحمد صالح أحمد النعيمي

Dr. Ahmed Salh Ahmed Alnuaimi

تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة/ قسم الفقه وأصوله جلولاء

Profession: Teaching in college Imam

The greatest the university to divide Jurisprudence And its origins Jalawla

Thought Islamic Specialt:

الملخص

استهدفت الدراسة معرفة ظاهرة التعصب القبلي الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي, مما أدى الى آثار سلبية على المجتمع الإسلاميّ, فبه اختُرقت ففرقت, وتستهدف الدراسة أيضا تحديد المفاهيم التي على أساسها تبنى الحلول والمعالجات, لمواجهة ظاهرة التعصب القبلي, وتشخيص طرق انتشاره, والوقوف على آثاره السلبية, وبيان خطره على الفرد والمجتمع, وكيفية الوقاية والعلاج من هذه الظاهرة, التي كانت أساساً للنظام الاجتماعي في العصر الجاهلي, فكانت تعتمد في تصنيفها للأفراد على مقاييس الجاه والمنصب والطبقيّة والنسب والحسب والسِّيادة والريادة, فلا تقيم وزناً لصلاح الفرد وايمانه وتقواه وخلقه وتعامله الحسَنَ, كما تضمَّنت الدراسة بيان مفهوم التعصب ومظاهره وأنواعه, وذم جميع أشكاله المقيتة والوقاية منه, وسبل معالجته في القرآن والسنة النبوية.

الكلمات المفتاحية: التعصب- القبلي- ظاهرة- الحمية

Summary

The study aimed to know the phenomenon of tribal fanaticism that was prevalent in pre-Islamic society, which led to negative effects on the Islamic community, as it was penetrated and divided. The study also aims to define the concepts on the basis of which solutions and treatments were adopted, to confront the phenomenon of tribal fanaticism, diagnose the ways of its spread, and determine its effects. Negativity, and an explanation of its danger to the individual and society, and how to prevent and treat this phenomenon, which was the basis of the social system in the pre-Islamic era. It relied in its classification of individuals on the criteria of prestige, position, class, lineage, lineage, sovereignty, and leadership, and did not give weight to the individual's goodness, faith, piety, character, and good behavior. The study also included an explanation of the concept of fanaticism, its manifestations and types, condemnation of all its abhorrent forms, prevention of it, and ways to deal with it in the Qur'an and the Sunnah of the Prophet.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين، الذين انتهجوا نهجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن ديننا الحنيف قد أمرنا بالاعتصام بحبل الله المتين، وحثنا على التعاون والتراحم والاجتماع والوحدة فيما بين المسلمين، ونهانا عن الاختلاف والتخاصم والافتراق؛ لكي تكون القلوب صافية، والنفوس متسامحة، ولا تقبل الانقسام، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [1]، وإن هذه الامة الإسلامية اليوم بحاجة الى تأليف القلوب ووحدة الصف، إذ يمكن أن تجتمع القلوب إلا على إخوة الدين والرابطة الإيمانية التي تُزيل كل الفروق بين الناس، وهذه الإخوة الإيمانية والرابطة الدينية لها دوراً فعالٌ في نبذ النعرات الجاهلية والثارات القبلية والأطماع الشخصية، ولها أثرٌ كبيرٌ في اجتماع الأمة وتماسكها، فالتعصب القبلي الذي نراه اليوم هو امتداد للتعصب الذي كان سائدا في العصر الجاهلي قبل الإسلام، والذي كان يمثل في نصرة القبيلة حتى لو كانت ظالمة، ولا شك في أن هذا التعصب القبلي لهوى في النفس، مما أدى ذلك الى ظهور آثاره السيئة على المجتمع الجاهلي، وامتدت هذه الآثار على المجتمعات الإسلامية وأخذت تلك العادات والتقاليد الجاهلية؛ وتصنيف الناس على أساس من التعصب القبلي، الذي كان أساساً في المجتمعات الجاهلية في تصنيف الأفراد على مقاييس الجاه، والمنصب والنسب والحسب والطبقية والسيادة والريادة.

جاء الإسلام ونبذ مظاهر التعصب القبلي، ودعا الى المساواة وعدم التفرقة بين الناس، وحث على التعارف والتكاتف والألفة والمحبة، وجعل الميزان بين الناس هو التقوى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ ﴿ وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [2]، وحذر من هذه الظاهرة ووصفها بأنها من حمية الجاهلية، وقرن فعلها من أفعال الكفار؛ دلالة على خطرها وقبحها وضررها على المجتمع، لذا لا بد من معالجة هذه الظاهرة لأنها تولد تخلف في المجتمع، ويتراجع الى الوراء، وتفتح الطريق على الأعداء للنيل منها، ويسود الظلم والعدوان بين المجتمعات الإسلامية، ومن المؤلم جداً أن نرى ظاهرة التعصب القبلي تتزايد باستمرار وتتفاقم، وقد غدا هذا التزايد والتفاقم في التعصب، شدة الانتماء للقبيلة وتفضلها على الدين والإيمان والحق، والأخذ بأحكامها وأعرافها في كل صغيرة وكبيرة حتى لو كان مخالف لشرع الله ومنهياً عنه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣

أهمية الدراسة:

١- بيان ظاهرة التعصب القبلي وأنواعه ومظاهره ومخاطره على الفرد والمجتمع، وموقف الإسلام منه.

٢- إيجاد حلول لمعالجة ظاهرة التعصب القبلي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذم كل أنواع التعصب الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي.

٣- إن هذه الظاهرة اليوم تشكل خطراً كبيراً على الفرد والمجتمع؛ لأنها تقدم المحسوبية وحميّة الجاهلية والانحياز لأبناء القبيلة أو العشيرة، ما أدي الى التفرقة والعداوة بين الناس.

٤- إن الإسلام وجد حلولاً وسبلاً لمعالجة لهذه الظاهرة التي انتشرت بين الناس، والتي أدت الى القطيعة وعدم التعاون بين أبناء المجتمع.

أهداف الدراسة:

١- التعرف على ظاهرة التعصب القبلي الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي.

٢- التعرف على الآثار السلبية التي أدت الى أنتشار التعصب القبلي.

٣- التعرف على دور الإسلام في مواجهة ظاهرة التعصب القبلي وكيفية الوقاية منه وسبل معالجته.

٤- التعرف على العادات والتقاليد التي كانت منتشرة في العصر الجاهلي في ما بين القبائل العربية، مما أدت تلك الآثار والنعرات على المجتمع الإسلامي.

٥- كيف عالج القرآن الكريم والسنة النبوية لظاهرة التعصب القبلي، من خلال الأدلة الشرعية والبراهين الساطعة، لمكافحة هذه المخاطر التي لازالت منتشرة بين الناس.

منهج الدراسة:

١- انتهجتُ في دراستي المنهج الوصفي التحليلي، مستدلاً على ذلك بالقرآن والسنة النبوية التي تدل على ذم ظاهرة التعصب القبلي، ومعالجة العادات والتقاليد والأعراف التي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي، والتي نهى عنها الإسلام وحذّر من الوقوع فيها.

٢- الاستدلال بالآيات القرآنية وبالاحاديث النبوية، وذكر الوقائع والأحداث التي تحث على ترك ظاهرة التعصب القبلي، لما فيه من مخاطر وتلوث على المجتمع.

٣- عزوتُ الآيات المستدل بها إلى سورها، كما بينت أرقام الآيات في الهامش، ثم التعريف ببطاقة المراجع والمصادر مرة واحد في الهامش، واكتفيت بذكر أسم الكتاب والمؤلف عند تكراره.

خطة البحث:

فقد جاءت بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة:

المطلب الأول: مفهوم الفكر الإسلامي لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: مفهوم التعصب القبلي لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: مفهوم القبيلة لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: أنواع ومظاهر التعصب القبلي

المطلب الأول: أنواع التعصب القبلي

المطلب الثاني: مظاهر التعصب القبلي

المبحث الثالث: الوقاية من ظاهرة التعصب القبلي وسبل معالجته من المنظور الإسلاميّ

المطلب الأول: الوقاية من ظاهرة التعصب القبلي

المطلب الثاني: سبل معالجة ظاهرة التعصب القبلي من المنظور الإسلاميّ.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: مفهوم الفكر الإسلامي لغةً واصطلاحاً

أولاً: الفكر الإسلامي لغة:

يقول بن منظور: الفكر هو(أعمال الخاطر في الشيء)، قال سيبويه ولا يجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، وقد حكى بن دريد في جمعهُ أفكاراً والفكرة كالفكر، وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر أي بمعنى، رجل فكير مثال فسيق وفكير كقيسر الفكر[1].

وقيل الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، يقال: لي في الأمر فكر، أي نظر وروية، و(فكر) في الأمر فكرًا: أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول[2]، قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها للوصول إلى حقيقتها[3].

وجاء في الصحاح: (التأمل، والأسم الفكر والفكرة والمصدر الفكر بالفتح قال يعقوب الفتح منه أفصح من الكسر. وأفكر في الشيء وفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل كثير التفكير)[4].

ثانياً: الفكر الإسلامي اصطلاحاً:

هو: (كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم من المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان والذي يعبر عن اجتهادات العقل الانساني في تفسير تلك المعارف العامة في اطار المبادئ الاسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً)[5]، ولهذا فإن كل فكر بشري نتج عن فكر مستقل ولم ينطلق من مفاهيم الإسلام الثابتة القاطعة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

(١) لسان العرب لأبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر ، ط ١٩٩٤، ج٧، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، ط٤، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م ص٦٩٨.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن لآبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص٤٩٧.

(٤) الصحاح في اللغة والعلوم تأليف الشيخ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ج٢، ص٧٥.

(٥) تجديد الفكر الإسلامي، مفهومه، أهميته، ضوابطه، د. محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦ه، ١٩٩٦، ص٩.

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لا يمكن وصفه بأنه فكر إسلامي[1].

والفكر الإسلامي: يقصد به النهج الذي يفكر به المسلمون، أو الذي ينبغي أن يفكروا به، للوصول إلى أهدافهم القريبة والبعيدة.

وبناءً على ذلك لا يعنى الفكر الإسلامي المعارف والعلوم التي أثمرتها العقول الإسلامية فحسب؛ بل ما وافقها من معارف وعلوم، ولم يتعارض مع الأصول والثوابت الإسلامية.

المطلب الثاني: مفهوم التعصب لغة واصطلاحاً

أولاً: التعصب لغةً: (التعصب من العصبية، مشتقة من العصب وهو الطي والشدة وعصب الشيء يعصبُهُ عصباً: طواه ولواه، وقيل شده، والتعصب: المحاماة والمدافعة)[2].

وعرفه بن منظور: (التعصب: من العصبية وهو أن يدعو الرجل الى نصرة عصبيته، والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أم مظلومين، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا وفي الحديث: العصبي هو الذي يغضب لعصبيته ويحامي عنهم، والعصبية: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم، أي يحيطون به، ويشتد بهم، والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه، وعصبة الرجل: قومه الذين يتعصبون له)[3].

والعُصبَة: تعني: هي الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[4] وعصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه، أو قومه الذين يتعصبون له وينصرونه للواحد والجمع، والعصبي: هو الذي يعين قومه وجماعته على الظلم، أو من يحامي عن عصبته ويعصب، والمنسوب الى العصب، يقال: رجل عصبي: اي سريع الانفعال والشدة، والعصبة: المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض معين[5].

ثانياً: التعصب اصطلاحاً:

تعددت تعريفات التعصب عند العلماء والمفكرين الى عدة أقوال أهمها:

(١) ينظر: فاكهة البستان: عبد الله البستاني النبهاني، مطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٠ ج٢ ص ١٨٣٩.

(٢) تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الازهري، تحقيق: محمد علي النجار، د- ط مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج٢، ص٤٩.

(٣) لسان العرب لأبن منظور، ص١٦٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٥) المعجم الوسيط ص٦١٠.

عَرف الشوكاني[1] التعصب بأنه: (تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي ويُروى له من الاجتهاد حجةً عليك وعلى سائر العباد)[2].

وعَرف بن خلدون[3] التعصب بأنه: (النُّعَرَةُ على ذوي القربى، وأهلِ الأرحام أن ينالهم ضَيْم، أو تصيبَهم هَلَكة ومن هذا الباب الولاء والحِلْف، إذ نُعَرَةُ كلِّ أحدٍ على أهل ولائه وحِلْفه)[4].

وعَرف الدكتور حسن حنفي[5] التعصب بأنه (الانحياز التحزبي إلى شيء من الأشياء فكرة، أو مبدأ، أو معتقد، أو شخص، إما مع أو ضد، والتعصب للشيء هو مساندته ومؤازرته، والدفاع عنه، والتعصب ضد الشيء هو مقاومته)[6].

والتعصب: هو الغو والتمادي في التعمق الشخصي بمبدأ أو فكرة أو عقيدة، أو تحزب، بحيث لا تترك مجالاً لمتسامح، وقد يتأذى ذلك إلى العنف والتخريب وزرع الفرقة[7].

ويبدو لي مما تقدم من التعريفات بأنّ التعصب هو الانحياز والقوة والشدة والمدافعة والنصرة والمحاماة والإعانة والمساندة.

المطلب الثالث: مفهوم القبيلة لغة واصطلاحا

أولاً: القبيلة لغة: مفردها، قبلي نسبة الى قبيلة وهي الجماعة من الناس تنتسب الى أب أو جد واحد، أو مجموعة من الناس يوحدهم نسب واحد[8].

وجاء في الصحاح مادة: (قبل) (واحد قبائل الرأس وهي القطع المشعوب بعضها الى بعض تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب)[9]، وهي أيضاً جماعة من أب أو جد واحد والقبائل من قبائل الشجرة

(١) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني، من كبار علماء اليمن، قاض، وفقيه، ومجتهد، صاحب كتاب نيل الأوطار، ولد سنة ١١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، ينظر: الأعلام للزركلي، ص٢٤٦.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي بن محمد الصنعاني اليماني الشوكاني، تحقيق: عبد الله السريحي، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٨ ط١، ص٧.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولى الدين الحضرمى الأشبيلى (ت: ٨٠٨هـ)، فليسوف المؤرخ العالم اشتهر بكتابه: (العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر)، ينظر: موسوعة الأعلام، ص١٩٨.

(٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٥، ص ٢٣٥.

(٥) هو مفكر مصري، وأستاذ جامعي يُعدّ واحدًا من منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية. https://ar.wikipedia.org/wiki

(٦) ينظر: موقع الصفار حسن www.saffar.org: التعصب والعصبية

(٧) ينظر: معجم مصطلحات العموم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، د.ط، ص١٥٤.

(٨) ينظر: لسان العرب لأبن منظور، ج٥، ص٣٥١٩.

(٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ج٥ ص ١٧٩٧.

وهي أغصانها[1].

ثانياً: القبيلة اصلاحاً: (عبارة عن مجموعة من الأسر تجمع بينها أواصر الرحم، وتلتقي أنسابها عند الأب المشترك الذي تنتمي إليه القبيلة، وربما استقلت أسرة أو مجموعة من الأسر مكونة قبيلة جديدة)[2].

فهي جماعة من الناس تضم طوائف أصغر منها، تنتمي كلها إلى أصل واحد وجذر راسخ ولها نسب مشترك يتصل بأب واحد هو أبعد الآباء والجد الأكبر للقبيلة[3].

وبمعنى أخر هي: كيان اجتماعي طبيعي يقوم فيه رؤساء العشائر والبطون برعاية شؤون الجماعة، تقوم فيه الرابطة على أساس وحدة الدم والنسب[4].

ويمكن القول بأن القبيلة مجموعة ومنظومة تتكون من أفراد يختلف كل فرد عن الآخر من حيث الأهمية والقدرات والمواهب، فتجد السيد المطاع وهو رئيس القبيلة لأنه يحمل صفات وخصال تتوفر فيه من الحكمة والفطانة وغيرها من الصفات التي تؤهله لقيادة القبيلة.

(١) تاج العروس، محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، ج٨، ص٧٢.
(٢) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص٥٩.
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢ه، ج٧، ص٣١٤.
(٤) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، ص٢٩.

المبحث الثاني

أنواع ومظاهر التعصب القبلي

المطلب الأول: أنواع التعصب القبلي

أولاً: التعصب الفكري: هو رفض فكر الآخر، وعدم قبول فكرته، والاستماع إليه، وترك التجرد، والإنصاف في الحكم عليه، والتشدد في التعامل معه، ونقده بألذع الصور، وتكوين صورة وإطار معين لفكر المخالف مشوب بكثير من الأخطاء والمغالطات؛ لأنها قائمة على أسس واهية من التعصب والتحجر وعدم الانفتاح لأفكار الآخرين[1].

وهو الانغلاق على التفكير بصفة أحادية والغاء الرأي الآخر ورفض الاعتراف به وتقبله واحترامه أو الحوار معه، وهو ما ينافي الإسلام الذي يقرّ بالتنوع وتعدد الأ راء، ولا يقبل بالاستعلاء ومصادرة حق الآخر في التفكير أو الرأي[2].

ولهذا فإن التعصب الفكري يعتبر من أخطر أنواع التعصب؛ لما فيه من آثار سيئة على الفرد والمجتمع، مثل: الصراع الفكري بين التيارات السياسية والدينية.

ثانياً: التعصب الهوائي للقبيلة : هو إتباع (أهواء القبيلة، ومصالحها الخاصة دون الأخذ بالاعتبار الإنسان الآخر وعلاقتنا البشرية معه ومسئوليتنا تجاه بعضنا البعض كأناس متجاورين فوق الأرض)[3]، وعُرفت العرب عن طريق الأنساب شعوبها وقبائلها وفصائلها والأفخاذ والبطون، وتختلف العصبية القبلية باختلاف نظام كل قبيلة التي تعتبر هي المكون الاساسي للمجتمعات العربية وتفرض نفوذها بقوة تقاليدها وعاداتها على كل ابنائها التي تربطهم وحدة الدم والنسب، أو الحلف والولاء[4].

ولهذا فإن الصراع بين القبائل في الجاهلية، وما نراه من صراع بين العائلات في زمننا هذا.

---

(١) الدمخي عادل : التعصب، مظاهره - أسبابه - نتائجه -البعد الشرعي، مقال الكتروني

(٢) ينظر: ظاهرة التعصب وطرق معالجتها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، د. نظال علي حسين، د. عبدالله ابرهيم رحيم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد ٣٧، ص ٥٣١.

(٣) التعصب مدمر الحضارات موقع www.islam.gov.kw ، ص٤.

(٤) ينظر: العصبية القبلية في صدر الأسلام، محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص ٤٤.

ثالثاً: التعصب المذهبي: هو(المغالاة في الانتصار للرأي الفقهي أو للمذهب الفقهي دون دليل)[١]، أو تعني عداوة وتجمع وتناصر أهل مذهب بالباطل في مقابلة مذهب أو مذاهب أخرى[٢]، **أو** هو تعصب لفرد ما أو جماعه لدين معين او لمذهب معين، وهي أحدى صور التعصب الفكري الذي يحمل بين طياته نزعة الأقصاء الفكري ونفي حرية المعتقد والدين، ويهدد استقرار وتماسك وأمن المجتمعات ويرسخ القطيعة بين مختلف الأديان من جهة، وبين الأفراد من جهة أخرى[٣]،

والتعصب المذهبي هو تقليد باطل: (والتقليد الباطل المذموم هو قبول قول الغير بلا حجة)[٤]، ومن مظاهر التعصب للمذهب الانتصار له حتى ولو خالف الدليل من الكتاب والسنة، فظهرت فتاوى منكرة من بعض المذاهب ضد البعض، وكثر الجدال والتباغض فيما بينهم، مما أدى الى التفرقة والعداوة، لدرجة أن الواحد لا يصلي خلف من يخالفه في الرأي أو المذهب[٥].

وفي هذا يقول الامام الشوكاني: (ها هنا تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسُنة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب بالقِيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رزئ بمثلها سبيل المؤمنين)[٦]

رابعاً: التعصب الطبقي: هي مجوعة من الأفراد في مستوى اجتماعي واحد وفكر يربط شعورهم المشترك بأنهم يلتقون في بعض النواحي الخاصة بهم من صفات وعادات وتقاليد يتميزون بها[٧]، فكانت هناك طبقات عديدة في بعض المجتمعات والأمم والشعوب ولكل منها طبقات خاصة بها، ولهذا يمكن تصنيف هذه الطبقات الى ما يلي:

١- الطبقة العليا (الحاكمة): وهي التي تسيطر على الحكم، وتحتكر لنفسها كل شيء من أسباب النفوذ والسلطة في مواقع التأثير في المجتمع كالمناصب الحكومية والدينية والقبلية وغيرها.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - بيروت، ١٩٨٧م، ج١، ص٧-٨

(٢) ينظر: العصبية، عبدالملك الشيباني، دار الكتب اليمنية، صنعاء، ط٥، ١٤٤٣هـ، ص٢٣.

(٣) مقال: التعصب الديني في المجتمعات العربية، بقلم اسماعيل الهدار، الرابط: https://www.irfaasawtak .com

(٤) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ، ج٢٠، ص١٥.

(٥) ينظر: التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، د. حسن الجوجو، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الدعوة وأصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ٨ ربيع الأول ١٤١٦هـ، ص ٨.

(٦) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني)ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، ط١، ص٩٨١.

(٧) ينظر: معجم العلوم الاجتماعية، مدكور، ص٣٦٣. وينظر: العصبية القبيلة في ميزان الإسلام، عبدالله الذيابي، ص٣٠- ٣١.

٢- الطبقة البيروقراطية: وهي مجموعة من الموظفين الذين يقومون على أمر الجهاز الحكومي للدولة، ويتحكمون في هذه الطبقة والاغلب هي العائلات ورابط القرابة.

٣- الطبقة البرجوازية: وتشمل رجال الأعمال والتجار والسماسرة، ويغلب على هذه الطبقة الناحية الاقتصادية [١].

٤- طبقة رجال الدين: وهم من الطبقة الدنيا والوسطى من العلماء، ويكونون بعيدين عن النفوذ السياسي والاقتصادي، ولهم تأثير ديني على الأفراد والجماعات بحكم بعدهم عن السلطة.

٥- طبقة المهنيين: من المعلمين وأساتذة الجامعات والطلاب، والمهندسين والاطباء والكتاب والصحفيين، وكذلك طبقات أخرى في المجتمع مثل الفلاحين، وطبقات البدو وطبقات عمال الصناعة [٢].

خامساً: التعصب القومي والعنصري: هو(الانتصار للقومية التي ينتسب إليها لمجرد القومية، دون اعتبار لحق، أو باطل) [٣].

والتعصب العنصري: هو (هو تمييز أو استثناء أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس العرق، أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو التمتع بها أو ممارستها على قدم المساواة في الميدان السياسي أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو في ميدان آخر من ميادين الحياة العامة) [٤].

والتعصب القومي: هو الانتصار للقومية التي ينتسب اليها الفرد لمجرد أنتمائه لهذه القومية، وتاريخ البشرية على الامتداد الاجيال طافح بالحروب التي وقعت في البلدان، بسبب التعصب للهوية القومية والعنصرية [٥]

سادساً: التعصب الحزبي: هو (جماعة من الناس: والجمع أحزاب، وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه، وكل قوم تشاكلت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب وإن لم يلق بعضهم بعضا، وكل طائفة هواهم واحد) [٦].

---

(١) ينظر: دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية، عايض محمد عايض حجراف، بحث منشور، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٣ه، ص٤٦- ٤٧.

(٢) ينظر: البناء الطبقي الأجتماعي، عبد الحليم الزيات، دار المعرفة الجامعية- مصر ٢٠٠٢م، ص ٦٣

(٣) التعصب مظاهره - أسبابه - نتائجه -البعد الشرعي، عادل الدمخي، مقال الكتروني .

(٤) وقفة تأمل في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، نادر الملاح، موقع تربية www.tarbya.n ، مقال الكتروني .

(٥) ينظر: الإعلام الطائفي، نجلاء إسماعيل أحمد، الناشر: المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ط١، ص٤٤.

(٦) ينظر: لسان العرب لأبن منظور، ج١، ص٢٩٩.

والتعصب الحزبي يقصد به جماعات من الناس يلتقون ويجتمعون ويتناصرون فيما بينهم من الافكار ضد كل من ليس ينتمي اليهم، ويعملون أعمالاً وأفكاراً يجلبون منها مصالح ومنافع لحزبهم [١]، وقد ظهرت الظواهر الحزبية السياسية في هذا العصر، وقد حذر كثير من رجال الحكم والسياسة شعوبهم من الأخذ بالحزبية؛ ذلك أنها عامل من عوامل التمزق لوحدة الأمة، ويؤدي ذلك الى التخلف والصراعات السياسية المستمرة بدلا من التقدم والاستقرار، وخصوصا إذا كان أهتمام الحزب لمصالحه الخاصة دون العامة [٢]، لذلك وقع الاختلاف والتفرق والتعصب بين الجماعات الاسلامية والاحزاب الفكرية، قال شيخ الاسلام بن تيمية: (وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي: تصير حزبا فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل: التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان) [٣]

لذلك فإن الأخوة بين المسلمين هي أصل الإيمان وليس بالانتماء لها، وحينما نبتعد عن الخلافات والتشرذم والطائفيات التي تمزق على أرضها رقعة التفكير وتنمو الحزبيات ويغيب التفكير السليم وتغيب الكليات ويضطرب سلم الأولويات [٤].

المطلب الثاني: مظاهر التعصب القبلي

أولاً: الفخر بالأحساب، والطعن في الانساب: إن المفاخرة كانت سائدة في المجتمع العربي، واعتزاز القبيلة بأصلها ونسبيها ومآثرها ومناقبها، وإيمانها بتفوقها على القبائل الأخرى، وكل هذه من سمات التعصب القبلي الملازم لها في شتى العصور، فالتعصب والفخر توأمان ملازمان لا يفترقان أياً كان لون التعصب [٥].

فكان التفاخر والتعالي والتباهي بين أهل الجاهلية سائد؛ إذ كانت المفاخرة بمناقب الآباء والأجداد أمراً شائعاً، حتى انهم يذهبون أحياناً الى قبورهم ويشيرون الى القبر ويقولون: هل فيكم مثل فلان ومثل فلان [٦]

(١) ينظر: العصبية، عبدالملك الشيباني، ص ٢٨.

(٢) ينظر: العصبية في ضوء الإسلام، هاشم محمد المشهداني، دار الثقافة، قطر، ط١، ١٤٣٣ه، ص ٢٣٢.

(٣) الفتاوى لأبن تيمية، ج٢٠، ص٤٥.

(٤) ينظر: العصبية القبلية في ميزان الاسلام، عبدالله بن عقاب بن مسفر الذيابي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ، ص ٢٨.

(٥) ينظر: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م، ص١٥٩.

(٦) ينظر: الاسلام والعروبة، مناقشة لآراء التيار الأصولي، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط١،

، لذلك كانت العرب في مجالسها أو ندواتها أو سوقها، كانت تتباها وتتفاخر بذكر مناقب المآثر، وكثيراً ما كانت هذه المفاخرات تجر خلفها حروباً قبلية ووقائع دموية، ولهذا كانت قريش تخرج الى مكان من شعب مكة فتتفاخر وتتشاتم ولا يفترق القوم إلا عن قتال[1].

ولا يزال كثير من الناس اليوم يحملون هذه الأفكار، والمفاخرة بالآباء والأجداد، والتعالي بمآثرهم وأمجادهم، وأصالة أنسابهم، والمفاخرة بذلك على من يعدونهم أقل منهم شأناً ونسباً وحسباً، وريادة وسيادة[2].

جاء الإسلام وذم هذا التعصب الذي يقوم على أساس التفاخر بالأنساب والأحساب والتفاضل والكبر، فجعله من الجاهلية والضلالة ومن الخصال المذمومة التي نهى عنها وأمر بإبطالها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ ﴿وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[3] ، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: (زجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى)[4] ، ولهذا فقد ألغى الإسلام وأزال تلك النظرة وكل أنواع التعصب القبلي الجاهلي، كالتعصب للقوم أو للقبيلة أو التفاخر بالأنساب والآباء والأجداد، وحذر من التفرقة والقطيعة ودعا الى الوحدة والى الوسطية والاعتدال ورفض كل مظاهر التعصب بكل أشكاله وأنواعه، فعن جندب البجلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية)[5]. وحينما حدث شجار بين أنصاري ومهاجر،ونادى بعضهم: يا للأنصار، ونادى الاخر يا للمهاجري، ذم النبي ﷺ ذلك الفعل، وجعله من دعوى الجاهلية؛ قائلاً ومحذراً من العصبية فقال: (دعوها فإنها منتنة)[6]، لأن مقتضاه أن ينصر كل واحد منهما أخاه، ولو كان مبطلا، وانما شأن المؤمن أن يقف مع الحق وينصر المظلوم برفع الظلم عنه، وينصر الظالم بمنعه عن الظلم لا يفرق بين من كان من قومه أو من غير قومه فالكل يشملهم وصف الإيمان والإسلام[7].

١٩٨٩م، ص٩٨.

(١) ينظر: الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس ورفقاه، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ، ج٩، ص١٤٧.

(٢) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص٥١

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٥٥١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ج١٦، ص٣٤١.

(٥) صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج القشيري (ت: ٢٥١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، رقم الحديث ١٨٥٠، ج٣، ص١٤٧٨،.

(٦) صحيح البخاري، ج٦، ص١٥٤، رقم الحديث٤٩٠٥.

(٧) مقال (من دعا إلى عصبية ومات على عصبية)، لفضيلة الشيخ د.فهد بن سليمان الفهيد الرابط: https://islamqa.info/ar/169674

ثانياً: الأخذ بالثأر:

إن الثأر هو أحد متطلبات الوفاء والعشيرة، إنَّهُ دليل الاعتزاز وعدم الخضوع للسيطرة، وإن الامتناع عن الأخذ بالثأر يؤدي الى تزعزع مركز العشيرة المجني عليها، والثأر: هو من أشد أخطاء العصبية القبلية؛ لأنه لا يهدف الى إقامة العدل في المجتمع ومجازاة الفاعل بمثل ما فعل، لكنه يهدف للتعويض عن الخسارة التي أصيبت بها القبيلة بفقد أحد رجالها، فهو يتجه الى إضعاف القبيلة التي وقع منها الاعتداء، حتى قيل: إن الدم لا يغسل إلا بالدم؛ تعبيراً عن هذا الفكر وهذه العقيدة التي ما تزال راسخة في أذهان أبناء القبائل حتى اليوم؛ لمطابقتها مع مزاجهم ومع تعصبهم القبلي[1].

ولا شك في أنَّ معاقبة الجاني والثأر منه أمر جائز في الشريعة الإسلامية، فقتل القاتل مثلاً شيء لا ينكره الشرع ولا العرف ولا العقل، وإنما القتل المذموم هو قتل غير القاتل بحجة من آل فلان، أو ترك القاتل لأنه ليس كُفئاً للمقتول، ثم السعي في قتل من هو بمقام المقتول وإن كان بريئاً، وهو ما كان سائداً في العصر الجاهلي، فقد كان من خلق القوم في الجاهلية: الحرص على الأخذ بالثأر على أي حال، واستثارة الهمم للقتال، ليتمثل بذلك اعتزاز العربي بعصبيته، وصون كرامته، والحفاض على هذه الكرامة إنما هو حفاظ على حياته نفسها، لأن المنية عند العربي خير من إعطاء الدنية، فالأخذ بالثأر إذاً هو معنى من المعاني التي تعبر عن روح التعصب، وهذا الخلق على ما فيه من شر، يتصل بكرامة العربي التي تدفعه الى أن يقتص بنفسه من المعتدين، بيد أنه تنقصه الشريعة التي يدين بها الجميع، ويمثلون لنصوصها، ويخضعون لوجوه تطبيقها، الى جانب هذا كان معنى الثأر أيضاً يستتبع ضروباً من الشجاعة، والرجولة، والاستبدال، جعلت حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الارض، وسقوفهم السماء، وجُنتهم السيوف، وعُدتهم الصبر[2].

فتشعبت معاني الأخذ بالثأر، والمألوف أن تعرض القبيلة على آل المقتول الدية، فإن رضوا حسم الخلاف وحقنت الدماء للقتال وإقراراً للسلام، ثم علاقة ذلك كله بمفهوم الكرامة عند العربي، ومعنى الشرف في معجم أخلاقه[3].

---

(١) ينظر: شريعة العشائر في الوطن العربي، فاروق الكيلاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٥٠. وينظر: العصبية القبيلة في ميزان الإسلام، عبدالله الذيابي، ص ٦١.

(٢) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص٥١

(٣) ينظر: العصبية القبيلة في ميزان الإسلام، عبدالله الذيابي، ص ٦٢، وينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص٣٩.

ثالثاً: المحسوبية:

المقصود بها المحاباة والواسطة أي: يحابي الفرد ذويه وجماعته، ويحامي عنهم، ويشفع لهم بحق وبغير حق، حتى لو لم يكونوا جديرين بذلك، وهو ما يمكن أن يطلق عليه: الشفاعة السيئة، وهي ضد الشفاعة الحسنة التي يؤجر عليها الشافع لتوافر الشروط اللازمة في المشفوع فيه وجدارته بها حتى إن كان من ذوي القربى [1]، قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [2].

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (من استعمل رجلاً وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين) [3]، وعن يزيد بن أبي سفيان قال: (قال لي أبو بكر رضي الله عنه حيث بعثني الى الشام: يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالولاية، وذلك أكبر ما أخاف عليك؛ فإن رسول الله ﷺ قال: من ولي من امر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم) [4]

لذلك أن هذه النصوص التي ذكرت آنفا تحث على عدم التعصب في ظاهرة من ولي شيئاً من أمر المسلمين فاتخذ التعصب القبلي مقاساً في التولية والتكليف، سواء كان التعصب للقوم أو صداقة أو جنس أو غيرها لتحقيق منافع أو مصالح ذاتية، فالشريعة الإسلامية تنهى عن هذا السلوك وتصف فاعله بالإثم والخيانة، وتتوعده باللعن والخسران [5].

رابعاً: الآثار السلبية على ظاهرة التعصب القبلي:

إن الآثار السلبية التي تحدث نتيجة التعصب القبلي سواء على القبيلة أم على الفرد أم على المجتمع، آثار سيئة منها: التناحر والبغضاء والفرقة بين أفراد المجتمع، قد يؤدي إلى سفك الدماء وقيام الحروب وتفرقة الكلمة وتشتيت القلوب، والتفكك والضعف في بناء الأمة الإسلامية بين أطيافها والجماعات الخاصة بها، نتيجة مخالفة أحكام الشرع التي تنهى عن ذلك، فالتعصب القبلي يجعل الإنسان المسلم يحرم من آخرته، لأنه يكسب السيئات عند الخوض في الطعن بالأنساب واللمز والسخرية

(١) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١١٠

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠، باب كتاب الأحكام، ج٤، ص١٠٤، رقم الحديث ٧٠٢٣. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) رواه المستدرك على الصحيحين للحاكم، باب كتاب الأحكام، ج٤، ص١٠٤، رقم الحديث: ٧٠٢٤. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١١٠

والاستهزاء والغيبة والبهتان، وتشويه الفكر المجتمعي، وغيرها من السيئات التي نهى عنها الإسلام، لذا يترتب على ظاهرة التعصب القبلي انتشار الفتنة والنعرات والمشاحنات بين أفراد المجتمع، والوقوع في الكثير من النزاعات والمشاكل التي يركن لها ضعفاء العقول والتخلف وضعف الوازع الديني، مما قد يوقع في الأشخاص الحقد والغل والكراهية والتباغض نتيجة هذه الظاهرة التي سببت الكثير من العداوات بين أفراد المجتمع[1].

(١) ينظر: ثقافة التعصب القبلي وتأثيرها السلبي على المجتمع الليبي، بحث: سالمة عبد الله حمد الشاعري، وحنان عبد الحميد علي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد:١، ٢٠٢١، ص ١٩- ٢٠.

المبحث الثالث

الوقاية من ظاهرة التعصب القبلي وسبل معالجته من المنظور الإسلامي

المطلب الأول: الوقاية من ظاهرة التعصب القبلي

أولاً: ذم التعصب القبلي:

إن التعصب القبلي كان منتشراً وسائداً في المجتمع الجاهلي، حيث كان أساساً لأعرافهم الاجتماعية، وكانت تجري منهم مجرى الدم في العروق؛ لذا لم يكن من السهل إلغاء مبادئها أو تصحيح مبادئها بين عشية أو ضحاها، فهي منتشرة كالمرض المزمن الذي تمكن من صاحبه أشد التمكن، فهو يحتاج إلى تدرج في علاجه وإن شفي منه، فغالباً ما يترك آثاراً يصعب التخلص منها كما ذكر النبي ﷺ في الحديث الشريف: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) [1]؛ ولأجل ذلك فقد تدرج الإسلام في علاج التعصب القبلي واستبدل الحسِن بالسيِّء منها، فغرس في النفوس والعقول التعاليم السامية والأخلاق الحسنة والعادات الجميلة ونفى الأخلاق السيئة والعادات القبيحة [2]، ولذا فقد دعا الإسلام إلى الأخذ بمبادئ الأخوة الإيمانية، والتقوى، والمساواة، والتواضع، ونبذ التعصب والتفاخر والكبر والطبقية، قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة)، وحذر النبي ﷺ من التعصب القبلي وسد كل نافذة من نوافذه واقتلع جذور الجاهلية وجراثيمها، كما جاء ذلك في الحديث عن الرسول ﷺ: (ليس منّا من دعا إلى عصبية، أو من قاتل من أجل عصبية، أو من مات من أجل عصبية) [3]، اي بمعنى ليس من ملتنا من يدعوا الناس الى التفرقة والبغضاء والتعصب بين الامم والقبائل، ولذا فقد حث الإسلام على التعاون والألفة بين كل أمة من الأمم وتوحيد كلمتهم وجعل قلوبهم مؤتلفة، وحذر من العصبية القبلية ووصفها الرسول ﷺ: (بأنها منتنة) أي خبيثة وكريهة ومؤذية، لأنها تشكل خطراً على الفرد والمجتمع وبها تهلك الأمم، فاللبيب يدرك عواقبها السيئة فيتحاشاها ويبتعد عنها، أما غير العاقل فيراها شرفاً ومجداً كبيراً، فيقع فيها بلا تردد وتفكير في عاقبتها الوخيمة، وينسى ربه

---

(١) رواه مسلم، باب، التشديد في النياحة، ج٢، ص٦٤٤، رقم الحديث ٩٣٤.

(٢) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١١٥- ١١٦.

(٣) سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، دار بن حزم- بيروت ١٤١٩ه، رقم الحديث: ٥١٢١، ص ٧٧٣.

جلا وعلا، ويهلك نفسه لإرضاء قبيلته وعشيرته لكي ينال محبتهم ومدحهم[1].

ثانياً: ذم حمية التعصب والدعوى الجاهلية:

لقد أشار القرآن العظيم على نهي التعصب لحمية الجاهلية فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، والحمية الأنفة يقال: حميت عن كذا حمية إذا أنفت منه وداخلك عار منه، وقال الراغب عبر عن القوة العصبية إذا ثارت وكثرت بالحمية حمية الجاهلية بدل الحمية أي حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية لأنها بغير حجة وفي غير موضعها[3].

إنَّ المشركين من كفار قريش أخذتهم الأنفة والحمية من دخول النبي ﷺ والمؤمنون من صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إليهم في تلك السنة - أي عام فتح مكة - حتى لا يقول الناس دخلوا مكة قاهرين لقريش، وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية لم نزل في قلوبهم أي كفار قريش حتى أوجبت لهم ما أوجبت من المعاصي[4].

وجاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (من نصر قومة على غير الحق، فهو كالبعير الذي ردي، فهو يترع بذنبه)[5]، وقوله يترع: يعالج ويحاول أن يخرج عنها، والمعنى: أن من نصر قومه من غير الحق فقد أوقع في نفسه الهلكة بتلك النصرة الباطلة، فمن أراد الرفعة بنصرة قومه، فوقع في خضيض بئر الإثم، وهلك كالبعير، فلا تنفعه تلك النصرة كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذنبه، وقيل : شبه النبي ﷺ القوم ببعير هالك، لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبه ناصرهم بذنب هذا البعير، فكما أن نزعه بذنبه لا يخلصه من التهلكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها[6].

ولهذا فإن الدين الإسلامي حثَّ الإنسان المؤمن لا ينتصر لصاحبه كونه من أهله أو من عشيرته أو من قبيلته أو من بلده، لأن هذه من صفات دعوى الجاهلية، لكن ينبغي على المؤمن أن ينصر أخاه ظالما

---

(١) ينظر: المنح الوهبية في ذم العصبية، عثمان شيخ عمر، الصومالي، راجعه وصححه: عبد الناصر حسين، ط٢، ١٤٢٨هـ، ص١٢- ٢٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود أفندي الألوسي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت، ج٩، ص١١٦.

(٤) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ٧٣٨.

(٥) رواه أبي داوود رقم الحديث: ٥١١٧.

(٦) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصباح، نور الدين علي محمد الهروي القاري، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر- بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ج٧، ص٣٠٧٦.

أو مظلوما، إذا كان له الحق أخذ له، أما إذا كان عليه الحق أخذه منه؛ بحيث يكون دائما مع الحق، ولا يكون مع فلان لأنه من قبيلته أو من منطقته أو شارعه أو بلده، لأن هذه من دعوى الجاهلية التي نها عنها الإسلام وحذر من خطرها والوقوع فيها.

ثالثاً: سوء خاتمة من مات على التعصب القبلي:

لقد بين النبي ﷺ حال ومآل من مات على التعصب القبلي في كثير من المواقف والمواضع التي تبين مصير وعاقبة من يقع في سوء الخاتمة؛ فيجب على كل مسلم أن يبتعد عن التعصب الجاهلي الخاطئ في جميع أقواله وأفعاله وأن يكون هدفه الحق وينصره ويكون معه لقول النبي ﷺ: (من قُتل تحت رايةٍ عِمّية، يدعو عصبيةَ أو ينصر عصبيةَ فقِتْلَةٌ جاهلية)[1]

والمقصود براية عميه: هي الأمر الذي لا يستبين وجهه، ومنه اقتتال القوم للتعصب القبلي، ومعناها أنما يقاتل لشهوة نفسه وغضبه وعصبيته لها[2]، وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليسه وسلم قال في الحديث الطويل: (... ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم، قالوا : يا رسول الله، وإن صام وإن صلى؟ قال: وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم ما سماهم الله عز وجل: المسلمين، المؤمنين، عباد الله عز وجل)[3]، لذا فإن النبي ﷺ كان يحذر أمته من دعوى الجاهلية ويحثهم على التخلص منها في جميع الافعال، بحيث لا يركن أحد مع الظلم وانما يكون مع الحق، لأن الحق لا يعرف أباً او قريباً بل الكل سواء امام شريعة الله سبحانه وتعالى، لذلك قد أشار الى اضرار التعصب الجاهلي التي تلحق بالمسلم في قبره بعد مماته.

رابعاً: التعصب القبلي يدل على الجهل والجمود الفكري:

إن لكل مجتمع قَبَليّ عاداتٍ وتقاليدَ اكتسبها مع مرور الزمن، فتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، بحيث أصبحت كل قبيلة أو قوم تعتقد أنها أفضل العادات والتقاليد والأعراف، حتى ورث الجيل الحالي هذه الأفكار التي لا يستطيع الانعتاق منها، ويُعتبر الخارج عنها شاذاً، فيعامل بازدراء وسخرية، وهذه الأفكار المتوارثة أصبحت عائِقاً أمام التطور في تضييق الأفكار عند الأفراد، فيصبح لا يعرف إلا محيط قبيلته أو منطقته، فتجده حاملاً من أفكار وعادات وموروثات قديمة متمسكاً بها، دون النظر وإعمال العقل والنظر للمصالح والمفاسد فيها حتى كان الحياء والخوف من القبيلة أشد من الخوف

(١) رواه مسلم، رقم الحديث: ١٨٥٠.

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٤٠٧ه، ج١٢، ص ٢٣٨- ٢٣٩

(٣) رواه احمد في مسنده، ج٣٧، ص٥٤٣، رقم الحديث: ٢٢٩١٠.

والحياء من الله سبحانه وتعالى[1].

جاء الإسلام وذم هذه التقاليد والعادات ودعا الى سمو الأخلاق وعلوها والترفع عن الدناءة واحتقار الناس، ولما كان التعصب القبلي مظهراً من مظاهر الخلق الوضيع لم يدع النبي ﷺ فرصة إلا وقام بعالجها في جميع المواقف التي طرأت في حينها؛ ليبقى أثرها خالداً مع الشخص بعد حين، ويتجلى ذلك في حديث المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (رأيت عليه بُرداً وعلى غلامه بُرداً، يقصد بذلك أبو ذر: فقلت لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته ثوبا آخر فقال: كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية، فنلت منها، فذكرني إلى رسول الله فقال لي: أسببت فلانا: فقلت نعم قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم قال: إنك امرؤ فيك جاهلية قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: نعم هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، أو ليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه مما يغلبه فليُعينه عليه)[2]، إنَّ الرجل الذي سابه أبو ذر هو بلال المؤذن مولى أبي بكر رضي الله عنه فقال له يا ابن السوداء وكانت أمه أعجميه، وكان ذلك قبل أن يعلم أبو ذر رضي الله عنه تحريم السباب والانتقاص للناس، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده[3]، ولهذا فقد وقع في قلب أبي ذر رضي الله عنه وأحس بما وقع منه من خطأ لم يكن يعلم بعظم العصبية وانتقاص الناس فكان ذلك درسا له رضي الله عنه في التعامل والعدل مع خدمه، ومن يعمل معه فكان يقاسمهم الثياب والخلل مخافة أن يحصل منه انتقاص لهم أو لكرامتهم وإنسانيتهم.

خامساً: براءة الإسلام من ظاهرة التعصب القبلي:

جاء الإسلام بمبادئ وقواعد وأسس وأخلاق عالية لن تتكرر في أي ديانة من الديانات الأخرى، وفي الوقت نفسه فقد حارب التعصب القبلي وكل أمر من شأنه أن يفرق بين العباد ويضع التفرقة بين الناس كما جاء في الحديث، أن رسول الله ﷺ قال: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبيَّة)[4]، والمقصود بقوله (ليس منا) أي ليس من ملتنا ملة الإسلام من دعا الناس إلى التعصب الجاهلي أي من يدعو الناس إلى الاجتماع على معاونة الظالم على ظلمه وطغيانه، وهو قولهم بآل فلان من قرابتهم وعشيرتهم وقبيلتهم كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر

(١) ينظر: العصبية القبيلة في ميزان الإسلام، عبدالله الذيابي، ص ١٩٠.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث رقم:٦٠٥٠ ، ص١١٧٠

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩، ج١، ص٢٩١.

(٤) رواه أبي داوودرقم الحديث: ٥١٢١، ص ٧٧٣.

الحادث والعظيم[1].

ومن هنا فقد حذر النبي ﷺ من يدعو الى التعصب القبلي ويصفه بأنه ظلم يلحق بالآخرين، لأنها من أفعال الجاهلية التي تلحق بالأمم، أما الإسلام فهو بريءٌ من ظاهرة التعصب للقرابة، لأن هو وحدة متكاملة لا فرق بين أسود على أبيض ولا عربي على أعجمي.

المطلب الثاني: سبل معالجة ظاهرة التعصب القبلي من المنظور الإسلامي

أولاً: علاج القرآن الكريم لظاهرة التعصب القبلي:

جاء القرآن الكريم ورسم المنهج الرباني في تعامل الناس بعضهم مع بعض، فبعد أن عاش الناس حقبة من الزمن يتخذون التعصب القبلي دستوراً لهم ومنهجاً يسيرون عليه فنقلهم القرآن العظيم من التعصب الجاهلي المقيت إلى الأخوة والرابطة الإيمانية والأخلاق الإسلامية الحميدة، فعاش الناس في الإسلام أخوة متحابين ومتماسكين ومتألفين يسودهم الإخاء والوفاء بعد أن كانت الخصومات والمشاحنات تعصف بهم وتفرقهم، لذا فإن الإسلام نهى عن التعصب الذي يقوم على اساس التفاخر بالأنساب والأحساب والتعالي والكبر والمفاضلة، فهذه من الخصال المذمومة التي أمر بإبطالها كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ ﴿وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[2] ، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: زجرهم وحذرهم عن التفاخر والتباهي بالأنساب، والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى[3]. وقال ابن تيمية: (ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه ولا يتم أحدا بنسبه وإنما يمدح الإيمان والتقوى ويذم الكفر والفسوق والعصيان)[4].

لقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه خلق الخلق بين الذكر والأنثى أنساباً وأصهاراً وقبائل وشعوباً وخلق لهم منها التعارف بين الناس، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو أعلم بها، وقوله تعالى: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)، الشعوب رؤوس القبائل، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، وقوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) وفي هذه الآية ما يدلك على أن التقوى هي المراعى عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله ﷺ دون الحسب والنسب، وعن سمرة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

(١) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داوود، ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، مكتبة المدينة المنورة ط٢، ١٣٨٨هـ، ص١٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)ت ٥٥١ ه(، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ج١٦، ص٣٤١.

(٤) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأبي العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٨٢هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجنيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٢٣.

قال: (الحسب المال، والكرم التقوى)[1].

وذكر الطبري: تزوج رجل من الأنصار امرأة فطُعِنَ عليها في حسبها، فقال الرجل: إني لم أتزوجها لحسبها إنما تزوجتها لدينها وخلقها، فقال النبي ﷺ: (ما يضرك ألا تكون من آل حاجب بن زرارة)، ثم قال النبي ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى جاء بالإسلام فرفع به الخسيسة، وأتم به الناقصة، وأذهب به اللوم، فلا لوم على مسلم، إنما اللوم لوم الجاهلية)[2]، وقال النبي ﷺ: (إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى)[3].

ففي هذه الآية دلالات وخواطر تبين للناس أنهم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتباغضوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا، فالله سبحانه وتعالى جعلكم شعوبا وقبائل للتعارف والانسجام، فأما اختلاف الألوان والألسنة، واختلاف الأطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والقدرات والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والاختلاف، بل إنه يخلق روح التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بتجميع الحاجات وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، وإنما هنالك ميزان واحد تتحدد به المبادئ والقيم، ويعرف به معادن وفضل الناس: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتقاكُمْ)، والكريم حقا هو الكريم عند الله سبحانه وتعالى وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان[4].

لذا فإن الدين الإسلامي جاء ليزيل هذا التعصب القبلي الذي كان سائدا في المجتمع الجاهلي، فمنع التقاطع والتفرقة، وحث على التآلف والمحبة والأخوة والسلام، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [5]، أي إن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالجماعة ونهى عن التفرقة والاختلاف وأمرهم بالاجتماع والائتلاف، وقيل: أن الحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية، وسمى الإيمان حبلا؛ لأنه سبب يتوصل به إلى زوال الخوف من النار، واختلفوا في معناه فقال ابن عباس رضي الله عنه: معناه تمسكوا بدين الله سبحانه وتعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه، هو الجماعة، وقال عليكم

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ط٢، رقم الحديث: ٣٢٧١.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره، ج١٦، ص٣٤٦. ولم أجده في كتب الحديث.

(٣) صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي(ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق، شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، سنه ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، رقم الحديث: ٣٤٩٥.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ، ج٦، ص٣٣٤٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣

بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال)[2].

ثانياً: علاج السنة النبوية لظاهرة التعصب القبلي:

إن السنة النبوية جاءت موضحة ومفسرة لكتاب الله العظيم، حيث وردت أحاديث كثيرة تنهى عن التعصب القبلي وعن الجاهلية التي كانت سائدة في المجتمع، إذ عالج النبي ﷺ هذه الأمراض الأخلاقية والمشكلات الاجتماعية التي كانت متغلغلة في نفوس العرب على هذا الأساس السليم، فأرشدهم الى الطريقة الصالحة المستقيمة، بعد أن كانت غاية المرء في الجاهلية هي نصرة القبيلة، والدفاع عن أهله وأقاربه وعشيرته مهما خالفوا عن الحق وتشبثوا بالباطل، فأصبحت الغاية في الإسلام هي نصرة الحق على الباطل.

وإن الروح الإيمانية التي دعى إليها النبي ﷺ هو تخليص المجتمع من التعصب القبلي، والعمل على التعاون والتكاتف، وإن الأخوة التي قامت بين المهاجرين والأنصار كانت دليلاً حاسماً على قيام دولة سيادة وريادة ونشوء مجتمع قضى على رواسب التعصب الجاهلي، وفي خطبة الوداع وضع النبي ﷺ أسس التجمع العقيدي الصحيح إذ قال: (وكل دم في الجاهلية موضوع، وأول دم أضعه: دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لم تضلوا، كتاب الله وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون قالوا: تشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)[3][4].

لقد غيَّر النبي ﷺ ظاهرة التعصب القبلي التي كانت في المجتمع الجاهلي، إذ بدأ بتدرج في علاجها وتصحيح معتقدات الناس وإيمانهم، وكان ﷺ يغرس في نفوسهم وأفكارهم التعاليم السامية، والأخلاق الحسنة، والعادات الحميدة، ونبذ الأخلاق السيئة والعادات القبيحة، وحث على مبادئ الأخوة الإيمانية، والمساواة، والتواضع ونبذ ظاهرة التعصب القبلي والتفاخر والكبر[5]، وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنيَانِ يشد بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[6]، وعن النُّعْمان بن بشير رضي الله عنه

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٤٨٠.

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث: ١٧١٥.

(٣) رواه أبو داود في سننه، باب صفة حجة النبي ﷺ، ج٢، ص١٨٢، رقم الحديث: ١٩٠٥، حديث صحيح.

(٤) مقال، كيف عالج الإسلام القبلية، محمد الناصر، العدد ٧، ١٤٠٧هـ، ص٥٣.

(٥) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١١٥- ١١٦

(٦) صحيح البخاري، رقم الحديث: ٤٨١، وصحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٥٨٥.

قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمّى)[1] فهذه الأدلة وغيرها تدل على تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على الألفة والمحبة والتراحم وأن يشد المسلم على يد أخية المسلم؛ من غير إثم ولا مكروه، لذا فقد حذرنا رسول الله ﷺ من العصبية القبلية؛ لانها تسبب العداوة والبغضاء وزرع الفتن بين أبناء القبيلة كما في قوله: (دعوها فإنها منتنة)[2].

وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة بسنته (القولية والفعلية)، في تغيير أو تعديل كل ما كان سيئًا من أمر الجاهلية؛ بما في ذلك التقاليد والأعراف القبلية التي كانت مخالفة لتعاليم الإسلام؛ حتى إنه من حرصه على طمس كل معلم جاهلي؛ فقد غير أسماء بعض الناس بعد إسلامهم؛ لأنها تخالف هَدْيَ الإسلام وتعاليمه؛ فغيّر أسماء (حَزْن) إلى (سهل)، و(برة) إلى (جميلة)، و(زيد الخيل) إلى (زيد الخير)، و(الحكم) إلى (عبدالحكم)، وهكذا، وقد ضربنا أمثلة من سنته الشريفة ﷺ التي تدل على كسر حاجز الطبقية النسبية وبخاصة في مجال النكاح؛ حيث أكد على تزويج الخاطب إذا كان ذا دين وأمانة وصاحب خلق، وحذر من رفضه وبين عواقب ذلك، كما أنه زوج بعض الموالي من نساء نسيبات واقتدى به في ذلك كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[3].

الخلاصة:

إن الإسلام وضع طرقاً وسُبلاً عديدةً لعلاج ظاهرة التعصب القبلي، لتصحيح مفهوم العقيدة والتصور الإيماني لدى الناس مع الأخذ بمنهج التدرج لعلاج ظاهرة التعصب القبلي، وغرس القيم والتعاليم السامية في نفوسهم وعقولهم ونبذ كل ما يخالف الشريعة الإسلامية، كما ذم التعصب القبلي الذي يؤدي الى التفرقة والعداوة، حيث ورد ذلك في عدة نصوص كثيرة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، لتصحيح التقاليد والأعراف القبلية الظالمة أو الخاطئة بما في ذلك تغيير الأسماء التي تدل على القسوة والغلظة، وحث على عدم الركون إلى النسب (مَنْ بَطأ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[4]،ثم عالج ظاهرة التعصب الجاهلي في الحال (إِنَّكَ أَمْرُل فِيكَ جَاهِلِيَّة)[5]، لذا فقد أمر بتوجيه التعصب توجيها نافعا لجعل أبناء القبيلة أو العشيرة- دون غيرهم - في ثغر معين أو تحت لواء معين حتى لا يتعلل قبيلي بأن الخلل جاء من قبل القبيلي الآخر[6].

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث: ٦٠١١، وصحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٥٨٦.

(٢) صحيح البخاري، ج٦، ص١٥٤، رقم الحديث٤٩٠٥.

(٣) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١١٨

(٤) صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٦٩٩.

(٥) صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٠، وصحيح مسلم، رقم الحديث: ١٦٦١.

(٦) ينظر: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، خالد الجريسي، ص١٢١- ١٢٢

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين، وبعد انتهائي بحمد الله تعالى من بحثي الموسوم بـ(الفكر الإسلامي ودوره في مواجهة ظاهرة التعصب القبلي)، أود أن أُشير إلى أهم النتائج التي توصلت اليها وهي كالآتي:

١- إن القرآن الكريم رسم المنهج الرباني في تعامل الناس بعضهم مع بعض، فنقلهم من التعصب الجاهلي المقيت إلى الأخوة والرابطة الإيمانية والأخلاق الإسلامية الحميدة.

٢- التعصب القبلي يوقع في الأشخاص الحقد والغل والكراهية والتباغض نتيجة هذه الظاهرة التي سببت الكثير من العداوات بين أفراد المجتمع.

٣- التعصب القبلي ينتج آثاراً سيئة منها؛ التناحر والبغضاء والفرقة بين أفراد المجتمع، قد يؤدي إلى سفك الدماء وقيام الحروب وتفرقة الكلمة وتشتيت القلوب.

٤- إن لظاهرة التعصب القبلي آثاراً خطيرةً، لا يزال كثير من الناس اليوم يتباهون بالمفاخرة بالآباء ومناقب الأجداد، وبمآثرهم وأمجادهم، وأصالة أنسابهم، والتعالي بذلك على من يعدونهم أقل منهم شأناَ ونسباً وحسباً، وريادة وسيادة.

٥- لقد بين الإسلام حال ومآل من مات على التعصب القبلي في كثير من المواقف والمواضع التي تبين مصير وعاقبة من يقع في سوء الخاتمة.

٦- إنَّ ديننا الحنيف لم يأمر ولم يدعُ الى الفخر والتفاخر بالأنساب والأحساب، كما يعتقده اليوم بعض الناس؛ بل نهى عن التعصب الذي يقوم على ذلك، وحذر من التعالي والكبر والمفاضلة، فهذه من الخصال المذمومة التي أمر بإبطالها، وبين عواقبها الوخيمة.

٧- حذر النبي ﷺ من التعصب القبلي وسد كل نافذة من نوافذه واقتلع جذور الجاهلية وجراثيمها، كما جاء ذلك في الحديث عن الرسول ﷺ: (ليس منّا من دعا إلى عصبية، أو من قاتل من أجل عصبية، أو من مات من أجل عصبية)[1]

٨- لقد عالج الإسلام ظاهرة التعصب القبلي واستبدل الحسن بالسيئ منها، فغرس في النفوس والعقول التعاليم السامية والأخلاق الحسنة والعادات الجميلة ونفى الأخلاق السيئة والعادات القبيحة.

---

(١) رواه أبي داوودرقم الحديث: ٥١٢١، ص ٧٧٣.

٩- يجب على كل مسلم أن يبتعد عن التعصب الجاهلي الخاطئ في جميع أقواله وأفعاله وأن يكون هدفه الحق وينصره ويكون معه لقول النبي ﷺ: (من قُتل تحت رايةٍ عِمِّية، يدعو عصبيةَ أو ينصر عصبيةَ فقِتْلَةٌ جاهلية).

١٠ - لقد عالج النبي ﷺ ظاهرة التعصب القبلي التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، إذ بدأ بتدرج في علاجها وتصحيح معتقدات الناس وإيمانهم، وغرس في نفوسهم وأفكارهم التعاليم السامية، والأخلاق الحسنة، والأخوة الإيمانية، والمساواة، والتواضع والعادات الحميدة، ونبذ الأخلاق السيئة والعادات القبيحة.

التوصيات:

١- لا بد للأمة الإسلامية اليوم أن تفعل مؤسساتها الدينية والثقافية والتربوية والإعلامية لمواجهة هذا التحدي الخطير الذي سادة في المجتمعات الإسلامية.

٢- معالجة ظاهرة التعصب القبلي بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر الوعي الثقافي عن سلبياته وأخطاره على الأفراد والمجتمعات.

٣- عقد مؤتمرات وندوات تدريبية لتنمية الوعي المجتمعي للتصدي من هذه الظاهرة، وتعميم منطق الحوار بين أفراد المجتمع في كافة المجالات، لرفع المستوى الثقافي والفكري لديهم.

٤- أن يكون دور للعشائر والقبائل في توعية الناس من ظاهرة التعصب القبلي، والعمل على روح الأخوة والوحدة بين أفراد المجتمع، وتجنب النعرات والإثارة والعنصرية التي تمزق الأمة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيراً...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم:

١- أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي بن محمد الصنعاني اليماني الشوكاني، تحقيق: عبد الله السريحي، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٨ ط١.

٢- الاسلام والعروبة، مناقشة لآراء التيار الأصولي، مجدي رياض، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ط١، ١٩٨٩م.

٣- الإعلام الطائفي، نجلاء إسماعيل أحمد، الناشر: المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ط١.

٤- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس ورفقاه، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ.

٥- البناء الطبقي الأجتماعي، عبد الحليم الزيات، دار المعرفة الجامعية- مصر ٢٠٠٢م.

٦- تاج العروس، محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار الهداية.

٧- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - بيروت، ١٩٨٧م.

٨- التعصب مظاهره - أسبابه - نتائجه -البعد الشرعي، عادل الدمخي، مقال الكتروني.

٩- التعصب المذهبي والتطرف الديني وأثرهم على الدعوة الإسلامية، د. حسن الجوجو، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الدعوة وأصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر ٨ ربيع الأول ١٤١٦هـ.

١٠- تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١١- تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الازهري، تحقيق: محمد علي النجار، د- ط مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٢- ثقافة التعصب القبلي وتأثيرها السلبي على المجتمع الليبي، بحث: سالمة عبد الله حمد الشاعري، وحنان عبد الحميد علي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد:١، ٢٠٢١.

١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٥٥١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٥٥ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٦- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأبي العباس، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٨٢هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجنيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤ه.

١٧- الدمخي عادل: التعصب، مظاهره - أسبابه - نتائجه -البعد الشرعي، مقال الكتروني.

١٨- دور التربية الإسلامية في مواجهة العصبية في زمن العولمة الاجتماعية، عايض محمد عايض حجراف، بحث منشور، كلية التربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ.

١٩- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود أفندي الألوسي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت.

٢٠- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، دار بن حزم- بيروت ١٤١٩هـ.

٢١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ط٢.

٢٢- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني)ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، ط١.

٢٣- شريعة العشائر في الوطن العربي، فاروق الكيلاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٢٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٢٥- الصحاح في اللغة والعلوم تأليف الشيخ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت.

٢٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن احمد ابو حاتم التميمي البستي(ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق، شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، سنه ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٧- صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج القشيري (ت: ٢٥١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٨- ظاهرة التعصب وطرق معالجتها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، د. نظال علي حسين، د. عبدالله ابرهيم رحيم، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد ٣٧.

٢٩- العصبية القبلية في صدر الأسلام، محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٣٠- العصبية القبلية في ميزان الاسلام، عبدالله بن عقاب بن مسفر الذيابي، رسالة ماجستير، جامعة

أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ.

٣١- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م.

٣٢- العصبية في ضوء الإسلام، هاشم محمد المشهداني، دار الثقافة، قطر، ط١، ١٤٣٣هـ.

٣٣- العصبية، عبدالملك الشيباني، دار الكتب اليمنية، صنعاء، ط٥، ١٤٤٣هـ.

٣٤- عون المعبود شرح سنن أبي داوود، ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، مكتبة المدينة المنورة ط٢، ١٣٨٨هـ.

٣٥- فاكهة البستان: عبد الله البستاني النبهاني، مطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٠.

٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩.

٣٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٣٨- لسان العرب لأبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر، ط ١٩٩٤.

٣٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٤٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصباح، نور الدين علي محمد الهروي القاري، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر- بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤١- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ١٤٢١ه، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٣- معجم العلوم الاجتماعية، مدكور، ص٣٦٣. وينظر: العصبية القبيلة في ميزان الإسلام، عبدالله الذيابي.

٤٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٥- معجم مصطلحات العموم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، د.ط.

٤٦- المفردات في غريب القرآن لآبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.

٤٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ.

٤٨- مقال، كيف عالج الإسلام القبلية، محمد الناصر، العدد ٧، ١٤٠٧هـ.

٤٩- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٥.

٥٠- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.

٥١- المنح الوهبية في ذم العصبية، عثمان شيخ عمر، الصومالي، راجعه وصححه: عبد الناصر حسين، ط٢، ١٤٢٨هـ.

٥٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ(، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٥٣- تجديد الفكر الإسلامي، مفهومه، أهميته، ضوابطه، د. محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٦ه، ١٩٩٦م.

المواقع الإلكترونية:

١- وقفة تأمل في اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، نادر الملاح، موقع تربية www.tarbya.n، مقال الكتروني.

٢- موقع الصفار حسن www.saffar.org: التعصب والعصبية.

٣- ٣- مقال من دعا إلى عصبية ومات على عصبية، لفضيلة الشيخ د.فهد بن سليمان الفهيد الرابط:

4- https://islamqa.info/ar/169674

٥- المطوع نسيبه: التعصب مدمر الحضارات موقع www.islam.gov.kw .

٦- التعصب الديني في المجتمعات العربية، بقلم اسماعيل الهدار الرابط:

https://www.irfaasawtak .com